التناسق الدلالي لموقف رسول الله في الآيات الأولى من سورة الكهف في ضوء نظريّة هاليداى (تفسير الميزان أنموذجاً)

روح الله صيادي نجاد(أستاذ مشارك بقسم اللغة العربيّة بجامعة كاشان)[1]

بهرعلي رضايي (دكتوراه في فرع اللغة العربيّة بجامعة كاشان)

الملخص

اقترح هاليداى لمميّزات النّصّ، العناوين الثالثة؛ المجال، والشـكل، والعلاقة وهى مفاهيم عامة لوصـف كيفية تحديد سـياق الحال، لأنواع المعاني المعبّرةعنها. يرى هاليداى، اللغة متشـكلة من أنظمة معنويّة، وصـوريّة، وسـياقيّة معتقداً أنّ اللّغة ليسـت مجموعةً من التّراكيب بل مجموعة من الوظائف التى من خلالها تتحقق المعاني التجريبيّة، والمعاني التبادليّة، والمعاني النصيّة.

أمّا العلامة طباطبائي في تفسيره الشهير، الميزان، يذكر أولاً مجموعة من عدّة آيات من سورة واحدة ذات سياق واحد، ثم يقوم بتشريح المفردات، وجوانب الإشتقاق، والقضايا المعجمية؛ ثم في قسم "التعبير عن الآيات" يتطرق إلى عمل التفسير ويشرح المفاهيم في كلّ آية ، واتّجاه هذا المفسّر طيلة تفسيره يكون هكذا.

يحاول الباحثان في هذه الورقة البحثيّة باتباع المنهج الوصفيّ- التحليليّ دراسة التناسق الدلاليّ لموقف رسول الله في مكة ، ومواجهته مع الكفّار في الآيات الأولى لهذة سـورة في ضـوء نظريّة هاليداى. فقد اختار الباحثان تفسـير الميزان عيّنة الدراسـة. السـؤال الرئيسـي و الأسـاسـي الذي يريد الباحثان الإجابة عنه هو : ما هي الآليات اللغويّة لدى هاليداى و العلامة طباطبائي في التناسـق الدلالي لموقف الرسول مع الكفار في الآيات الأولى؟

حسـب وجهة نظر هليداى للوصـول على معنى النص الحقيقى يجب على الباحثين و القرّاء أولاً كشـف المعاني المترابطة و المتلاحمة في الآيات . تتضمّن الآيات الثمانية الأولى تناسقا دلاليّا يدلّ على موقف رسول الله مع الكفّار و لا مع أهل الكتاب. تحتوي الآيات من 1 إلى 3 على ثلاث جمل متضـمّنةً معنى الإنذار والتبشـير، بينما أنّ المعانى المترابطة في الآيات من 6 إلى 8 متكوّنةً من جزأين: الأول ، الآية 6 ، وهو تعبير في حالة الشـرط والجزآء ، والثاني ، الآيتان 7 و 8 ، وهو تفسـير للآية 6 التى تتمحور حول شـخصـية رسـول الله و موقفه. حينما نلقي النظر إلى كلمة "آثار" في هذه الآية ودلالاتها حسـب سـياق الحال وفقًا لنظرية هليداي، يسـتطيع القارىء أن يحصل على المعنى الحقيقى لهذه الآية بغية أنّ كلمة "آثار" تلعب دوراً حاسماً في التناسق الدلالي في الآيات الأولى، و هي حلقة وصلٍ بين الآيات السابقة، واللاحقة.

لا يخفى علينا أنّ نظرية النظام الوظيفي لها دور هام فى تفسير الميزان. على سبيل المثل أنظروا إلى هذه الآية ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ لها أنظمة وظيفية على شكل المعنى النصّي الموسوم. تركيب هذه الآية يختلف عن تركيب الآيات السابقة، و بنية هذه الآية تعدّ دعامة رئيسية للآيتين 7 و 8. كلمة "الآثار" أتت في هذه الآية المباركة بمعنى «الثروة»، و«القوة» في أيدي الكفار وليست بمعنى آثار الأقدام . واضافة حرف الجارّ "على" على الكلمة اللاحقة تدلّ على أن ندامة الرسول ليست بسبب رغبته و جشعه في ثروة الكفار و سـلطتهم ، لأن هذا المعنى يتوافق مع حرف "اللام" وليس متسـقا مع حرف "على " . و في الآية6 نقرأ ﴿ إِن لَّمْ

[1]. الكاتب المسؤول. عنوان البريد الإلكتروني : saiiadi57@gmail.com

يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ نلفى أنّ سبب ندامة حضرته منبثقة عن عدم إيمان الكفار بالقرآن ، لأنهم وظّفوا هذه الثروة والسلطة لأغراض دعائية ضد الإسلام وخلقوا جوًا من التوتّر.

الكلمات الدليليّة : سورة الكهف ، هاليداى تفسير الميزان ، التناسق الدلالي ، رسول الله.

1.المقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية و قد تم تمييزها من ظواهر الأخرى بعلامات يتبلور فيها العديد من الميّزات ک: المتعلقة بالعادات والتقاليد والرموز، فهذه العلامات تميز المجتمعات البشرية بعضها عن البعض؛ لذلك فقد استخدمت التوجهات المعاصرة في علم اللغة کل جهودها في البحث عن المعنى لتغطية العلاقة بين اللغة والمجتمع البشري. إذن المعنى – ليس مسألة متأصلة أو تقليدية – ولكنه يتأثر بالبنى الثقافية والاجتماعية مستخدمة فيه. فاللغة هي ظاهرة اجتماعية وهي في الواقع جزء من النظام الاجتماعي الذي تم إنشاؤه لتلبية الحاجة إلى التواصل .يعتبر هاليداي أن النص مثال على المعنى الاجتماعي الذي يتم وضعه في سياق ظرفية معين. في هذا التعريف ، النص هو نتاج البيئة ونتيجة للاختيارات المتتالية للنظام الدلالي.

أما لفهم الزوايا الخفية للمعنى في النص ، وخاصة النصوص الدينية التي قدمت للجمهور في شكل قصة ؛ يتطلب نظرة فاحصة عليه ؛ لذلك كانت معاني الآيات الابتداية في سورة الكهف ضرورة التي تم الاهتمام بها في هذا البحث .نعتزم فيها تقديم أفكار هاليداي في النظام الوظيفية و تطبيقها على افكار سيد طباطبايى فى الميزان في تفسير القرآن، فمحاولة تطبيق أفكار علم اللغة و علم التفسير معا على شاكلة نصية لدلالات في سياق الآيات الأولى من سورة الكهف المباركة.

1.1– أهمية البحث:

إن الانتباه والتركيز على عناصر الغة القرآن ، مثل السياق والخطاب اللذان لديهما دورا فعال في بيان الأهداف العالية للتفسير القرآن ، يساعد كثيرًا في التحليل تلك المعجزة العظيمة. أما في هذا العصر يجب على الباحث العلوم الدينية أن يستخدم الأساليب والنظريات العلمية الدقيقة التي تستند إلى آراء لغويين مثل هليداي جنب التفاسير الموجودة لوضوح المعانى القرآن. ظهور القضايا السياقية ضمن السانية الوظيفية وعلاقتها بالخطاب في سورة الكهف قد يتجلى في تفاسير مثل تفسير الميزان لسيد طباطبايى ولها اهمية الانتباه و التركيز منها. لذالک لزوم الوقوف على اللسانيات عند مطالعة التفاسير ومعرفة النظريات المتعلقة بها دور هام فيها. سيد طباطبائى في التفسير الميزان وزع الآيات على مقاطع ينتظمها سياق واحد ، وقدم غرض السورة الأساسي في مفتتح تفسيره لها ، ونّبه إلى ما تعالجه هذه المقاطع القرآنية من أغراض في بداية تفسيره لكل مقطع. وأمّا بالنسبة لمنهجه في التفسير ، فأول ما يلفت القارئ اعتماد الطباطبائي بشكل أساس على القرآن نفسه في استنطاق آية والوقوف على معانيها. في ضوء ذالك نهج منهجاً موضوعياً وقام بتحديد جملة من المفاهيم القرآنية بمعارضة الآيات الناظرة لها والإفادة منها.للسياق أثر واضح في الميزان باعتبار أحد القرائن الحالية على فهم الكلام فقد اعتمد الطباطبائي أساساً في الكشف عن معاني القرآن بها .استعان الطباطبائي بأسباب النزول باعتبارها قرأئن يمكن أن توضح النص القرأني وتوجهه وجهة معينة.

لذلك في هذا البحث، ندرس سياق الموقف مع المعنى ، وبناءً على نهج هاليداي على حسب تفسير الميزان، نطرح و نقوم بتحليل الآيات المعينة للسورة.

1–2. أسئلة البحث:

-كيف المكونات السياقية (مجال، العلاقة، طريقة الخطاب) في نظرية هاليداي في اللسانيات كمقياس للمحادثة بين السياق وخطاب النص ، وكذلك ما هي الآليات اللغويّة لدى هاليداي و العلامة طباطبائي في التناسق الدلالي لموقف الرسول مع الكفار في الآيات الأولى لسورة الكهف؟

1-4- الدراسات السابقة

وجدنا بحوثا تهتمّ بدراسة في السياق منها:

« البنية و السياق و أثرها فى فهم النص » من عدنان طهماسبى و شهريار نيازى ، في مجله اللغة العربية و آدابها (1384). في هذه المقالة ، نوقش دور السياق في فهم النص و أهمية السياق للنص. و« رساله «السياق غير اللغوي و أثره في توجيه المعنى فى تفسير (ابن عطيه)» از صالح هزلة . (2008).كُتب هذا البحث في درجة الدكتوراه بجامعة القاهرة ، وفيه تعرض تفسير ابن عطية للنقد والتحليل بناءً على سياق الموقف. و « رسالة «دلالة السياق» من ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحى (1424).كُتبت هذه الرسالة في درجة الدكتوراه بجامعة أم القري بمكة المكرمة وتتناول الفحص الشامل للسياق كمعيار لفهم المعنى ومعيار للتماسك الكلي للنص. بناءً على ما قيل ، لم يتم تقديم بحث يجمع بشكل مستقل ارتباط النص والمعنى مع السياق و التناسق في آراء هاليداي اللغوية.

1-5.منهج البحث

تناولت هذه الدراسة للنص القرآني في آيات الاولى لسورة الكهف على المنهج الوظيفي الذي يأخذ بمعطيات علم اللغة التي الموقف و السياق من الاصول الرئيسي منها وفيها يتم التركيز على المعنى والتأثير الذي يرتقي إلى الفنية اللغوى للسورة المباركة.

2- الإطار النظري

2-1- **التناسق**: المعني اللغوية الواردة في معنى(التناسق)، « وذلك من خلال الرجوع إلى المرجع اللغوية: قال ابن فارس" :النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض»(ابن فارس، 1979 :420/5).

فهو يأتي على عدة معان منها :التتابع، او لعطف، اولتنظيم. اما من جهت معنى الاصطلاحى لتناسق في القرآن « المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة وبين علل ترتيبها لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين الموضوعات،...» (بن سالم، 1997: 11) تحدث سيد قطب عن هذه الموضوع على النحو الآتي« لكل سورة من سور القرآن الكريم شخصية مميزة، ...ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محورخاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها ...»(قطب، 2019 :198/2).

2-2- سياق الموقف

تحدّث علماء اللغة فى دراساتهم عن معنى السياق الموقف فى الكلام صراحة أو ضمناً، وسياق عندهم بالمعنى العام و على شكل الوجيز يشمل: ترتيب الألفاظ ، وتنسيقها بحيث تترتب الكلمة اللاحقة على ما قبلها من كلمات، وترتبط كل كلمة فى التركيب بكلّ كلمة سابقة عليها، وكذالک دلالة الحال والمقام، و أنّ السياق أيضاً هو التاثير الجمالى للكلمة فى داخل التركيب، كما يشمل طريقة

إخراج الصوت من تفخيم اللفظ والتنغيم والنبر؛ وكذالک التوافق الدلالی بين دلالة اللفظ وما فی التركيب من ألفاظ أخرى ذات معان معينة، ويضاف إلى ذلک الارتباط النفسی بين حال المتكلم وانفعالته عند إلقاء حديثه.

اما استخلص هاليداي مميزات النص من مميزات المقام واقترح العناوين الثلاثة التالية: وهی المجال، الشكل والعلاقة وهی مفاهيم عامة لوصف كيفية تحديد سياق المقام لأنواع المعاني المعبّر عنها.

-المجال: وهو الحدث الكلي، الذي يشتغل فيه النص، أي موضوع الخطاب.

الشكل: هو وظيفة النص في الحدث، ويضم بذلك كل من القناة التي تتخذها اللغة – المنطوقة أو المكتوبة، المرتجلة أو المحضرة – ونوعها أو الأشكال البلاغية كالشكل القصصي ، والتعليمی، والاقناعی، إلخ.

-العلاقة : وهي طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين المشاركين ونوعها. يحدّد كل من المجال، والشكل والعلاقة بصفة جماعية سياق مقام النص." تشكّل المعالم اللغوية، التي ترتبط بصفة نموذجية بتمثيل المعالم المقامية، مستوى التعبير بوجود قيم خاصة لكل من المجال، والشكل والعلاقة .وكلّما استطعنا تحديد معالم المقام كلما تمكنّا من تنبّؤ خصائص النص بدقة أكثر في ذلك المقام"، وخلاصة القول، ينتج النسيج عن اشتراک نوعين من الأشكال الدلالية :الأشكال الخاصة بمستوى التعبير والأشكال الخاصة بالاتساق .يحتوي النص على مستوى التعبير بصفة طبيعية، وهو يرتبط بمجموعة معيّنة من المعالم المقامية،و يشكّل من خلال طبيعة الحدث التواصلي (المجال) ، والجزء الخاص باللغة على مستوى الحدث (الشكل) والعلاقات بين أدوار المشاركين(الطريقة). والاتساق هو مجموع العلاقات المعنوية، وهي عامة في جميع أصناف النصوص، فهو يميّز النص عن اللانص و يربط معانيه الجوهرية بعضها ببعض.

2-3-نظرية النحو النظامي الوظيفي

برأى هاليداى، اللغة متشكلة من ثلاثة أنظمة (معنوى وصورى وسياقى). يرى ليست اللغة مجموعة من التراكيب بل مجموعة من الوظائف التى من خلالها تتحقق المعانى الثلاثة كما يلى:

2-3-1-المعنى التجريبى

« اللغة وسيلة لتبيين أفعالنا وافكارنا عن العالم الخارجى والعالم الداخلى ولتمثييل هذه الوظيفة من اللغة، لا بد أن نستخدم بنية التعدية. هذه البنية تتجلى فى العمليات»(هاليداى و متيسن، 2004: 169).

العمليات تدل على الحدث، الشعور، العلاقة، التعامل، الكلام والوجود، فيشتمل على العمليات المادية، الذهنية، العلائقية، السلوكية، الكلامية و الوجودية.

2-3-2-المعنى التبادلي

من وجهة نظر هاليداى، إننا « إذا استخدمنا اللغة والجمل لنتحدث مع الآخرين، فسنخلق المعنى التبادلي فينبغى أن نعتبر " الجملة مالتبادل" ؛ لأنها تتحقق عن تبادل القائل مع المخاطب. فى هذا التبادل، القائل و المخاطب كلاهما يعتبران كركنين أساسين فى العلاقات التبادلية ويلعبان دورا حاسما فى التبادل بحيث أنّ القائل يطرح سؤلا لكسب المعلومات و المخاطب يدخل فى الحوار و يردّ عليه فإن كل الأعمال الكلامية فى هذا التبادل، تدور حول محور الاعطاء (المعلومات أو الخدمات) و المطالبة . بتعبير آخر ما يتبادل بينهما هو المعلومات والخدمات و إذا لعب التبادل دور العطاء، فالمخاطب يدعو إلى استسلامه وإذا لعب التبادل دور المطالبة، فيجب تنفيذها على المخاطب. ففى امر التبادل، يستفاد من الآليات الأربعة و هى " الاقتراح" ، " الأمر "، "الخبر " و السوال"»(نفسها: 106).

2-3-3-المعنى النصى

« بواسطة اللغة، نرتب ونعزز كلامنا ونحاول أن نلحقه بالسياقات الموجودة. وإذا حاولت اللغة أن تحدث العلاقة بين نفسها وسياقها فتحلق نصا منسجما؛ لأن ما ينتقل المعنى هم النص. المعنى النصى يتمثل فى العناصر النيوية وهى البنيتين الأولى بنية المبتدأ والخبر، والثانية البنية المعلوماتية ويتمثل فى العنصر غير النيوى وهو الانسجام. فى البنية المبتدئية يبتدئ الكلام بالمبتدأ ويجعل الكاتب فى مركز الرسالة» (نفسها: 93).

3- التناسق الدلالى للإنذار بنفي الولد لله فيالآيات الأولى من سورة الكهف

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوجا﴾ ﴿ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف: 1و2)

سورة الكهف إحدى خمس سور بدأت بجملة (الحمد لله) بالإضافة إلى الفاتحة والأنعام وسبأ وفاطر. «سورة الكهف تتضمن الدعوة إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح بالإنذار والتبشير.« وفيها مع ذلك عناية بالغة بنفي الولد كما يدل على ذلك تخصيص إنذار القائلين بالولد بالذكر ثانياً بعد ذكر مطلق الإنذار أولاً أعني وقوع قوله:﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾بعد قوله:﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ فوجه الكلام فيها إلى الوثنيين القائلين ببنوة الملائكة والجن والمصلحين من البشر والنصارى القائلين ببنوة المسيح عليه السلام ولعل اليهود يشاركونهم فيه حيث يذكر القرآن عنهم أنهم قالوا: عزير ابن الله.»(طباطبايى،1375: 13/ 25).

« قوله تعالى: ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾ الآية أي لينذر الكافرين عذاباً شديداً صادراً من عند الله كذا قيل والظاهر بقرينة تقييد المؤمنين المبشرين بقوله:﴿الذين يعملون الصالحات﴾ أن التقدير لينذر الذين لا يعملون الصالحات أعم ممن لا يؤمن أصلاً أو يؤمن ويفسق في عمله. (نفسها:26). والجملة على أي حال بيان لتنزيله الكتاب على عبده مستقيماً قيماً إذ لولا استقامته في نفسه وقيمومته على غيره لم يستقم إنذار ولا تبشير وهو ظاهر. والمراد بالأجر الحسن الجنة بقرينة قوله في الآية التالية: ﴿{ماكثين فيه أبداً﴾والمعنى ظاهر. (نفسها: 27).

اما الدلالة التناسق جاءت في سورة الكهف على لفظ (الحمد) ، واستخدم هذا اللفظ استخداما مميزا في القرآن الكريم، فقد جاء اسما دائما ولم يستخدم في سياق الفعل. على المعنى النصي لنظر هاليداي « الحمدُ» بنية المبتدأ و على طراز معلوم القديم/ و الخبر «لِله» على طراز معلوم جديد، فدلالة الاسم في اللغة الثبات، فالحمد ثابت لله سبحانه و تعالى فهذا المطلب موكدة على معنى النصى.

تبدأ السورة بالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب للإنذار والتبشير، تبشير للمؤمنين وإنذار الذين قالوا :اتخذ الله ولدا؛ المعنى التجريبى في هذه الآية عمليات مادية فى افعال «أَنزَلَ، لَمْ يَجْعَل، لِيُنْذِرَ، يُبَشِّرَ، يَعْمَلُونَ». يعتقد هاليداي أنه من خلال النص ، يتغير نوع وتكرار العمليات .في موقعين الإنذار و التبشير المرتبط بالنصوص التعليمية والإخبارية ؛ تم استخدام المزيد من العمليات المادية والعمليات التعبيرية. يشير التكرار العالي للعملية المادية إلى فعالية حالتين المذكورين فهذا يشير إلى أنه يجب تحديد المرء في العمل والكلام. لذلك ، عبّر عن الأنذار « لَمْ يَجْعَل» على معنى التبادلى و بوجهيت تكليفى و هذا مقام الإنذار.

(الكتاب) في الآية يدل على(القرآن) الرسالة المنزل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله سلم) معلوم الدلالة، وقد ارتبط ذكر القرآن بالرحمة فهو أعظم نعمة على الإنسان فكان الحمد عليه مقدما. فدلالة المعنى التجريبي و التبادلى و معنى النصى يعطيهم (ولم يجعل له عوجا)و(قيما) هما معنيان متقاربان جدا. فهذا المعنى ذكر نفي العيب و النقص مقدما ثم إثبات الكمال .يعني على سياق الموقف إن الدين الجديد أتى على أمة جاهلية عقائدها وأيضا باطلة ولا أساس لها، والدين الجديد لا يمكن أن يقوم على ما كان

موجودا فلا بد إزالة الأباطيل والبناء على شكل جديدة و صالحة وعلى هذا تقدم هذا الأسلوب . الفعل« ينذر» ينصب مفعولين ولكن حذف أحدهما على أن المقصودين في الإنذار هم الكفار، ولكن لقلة شأنهم وهوانهم واستكراها لذكرهم حذف اللفظ الدال عليهم على حسب سياق الموقف، وعلى العكس فان مع التبشير ظهر «المؤمنون». فلم يصرح بذكر النار والجنة بل بالإشارة إليهما بأوصاف تنم عنهما وهذا وإن لم يكن من الحذف فإنه مما يعمل الذهن في الوصول إلى المشار إليه وهذا ما يسمى إيحائية اللغة . ولحذف المنَذر في هذه الآية فائدة :أنه«"بذلك يعم جميع أصناف المتمردين المخالفين في أي صورة من صور الخلاف والتمرد» (المدنى، 49:1994)

وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

الجملة	المعنى التجريبى العملية و نوعها	المعنى التبادلى (الفاعل +عنصر المحدود)	المعنى النصي(بنية المبتدأ/ و الخبر)
وَيُنْذِرَ الَّذِينَ	ينذر: مادية	فاعل: الرسول / عنصر: زمان مضارع، وجه اخبارى(قطعيت)، وجهيت: معرفتى	(مبتدا مركب(نصى+ تجربي)و+ ينذر/غير موسوم/ المعلوم القديم)- خبر (الذين /المعلوم الجديد/ غير موسوم
قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا	قالوا: كلامية	فاعل: (وا)كفار مكة/ عنصر محدود: زمان ماضي، وجه اخبارى(قطعيت)، وجهيت: معرفتى	مبتدا غير مركب(تجربى) قالوا/ المعلوم غير موسوم- المعلوم قديم /خبر (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا / االمعلوم جديد) غير موسوم

و على سياق الموقف هذه الآية ادعاء المشركين بالله في مكة فكان الإنذار لهم. نشاهد في هذه الآية كلمة مفردة (ولدا)ولكن لديها معانى متنوعة منها اشتملت العدد و الجنس. حيث فى الولد في هذه الآية يستوى الواحد الجمع و الأنثى والمذكر و هذه نتيجة عناية على الموقف الاجتماعي و الديني للمشركي « إن المقصود مشركوا العرب في قوالهم نحن نعبد الملائكة و هن بنات الله. »(ابن كثير، 1966: 135/7). وايضا نشاهد في لفظ (ولدا) ايجاز، لأن الله منزه عن الولد و الاولاد وعن الإناث والذكور.

نشاهد على تفسير الميزان نفس الموقف و ايضا أوسع منه، قال سيد طباطبايى « قوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهم عامة الوثنيين القائلين بأن الملائكة أبناء أو بنات له وربما قالوا بذلك في الجن والمصلحين من البشر والنصارى القائلين بأن المسيح ابن الله وقد نسب القرآن إلى اليهود أنهم قالوا: عزير ابن الله. وذكر إنذارهم خاصة ثانياً بعد ذكره على وجه العموم أولاً بقوله: (لينذر بأساً شديداً من لدنه) لمزيد الاهتمام بشأنهم. (طباطبايى،1375: 13/ 27).

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(5) فنصبت «كلمة» على التمييز وحذف المسند إليه وهو الفاعل للفعل «كبُرت » فهذا على المعنى التبادلي؛ ولأن تلك الكلمة أي ادعاؤهم بأنّ الله اتخذ ولدا كلمة منكرة فحذفت من السياق، فحسن التخلص من ذكر كلمة مكروه ذكرها وشكل التركيب أسلوبا لافتًا في أسلوب التعجب من نصب(كلمة). قال سيد طباطبايى«قوله تعالى: ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ الخ كانت عامتهم يريدون بقولهم: اتخذ الله ولداً حقيقة التوليد كما يدل عليه قوله :أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء(الأنعام: 101).

وقد رد سبحانه قولهم عليهم أولاً بأنه قول منهم جهلاً بغير علم وثانياً بقوله في آخر الآية: (إن يقولون إلا كذباً).(نفسها). فالكلمة هنا تشمل عدة كلمات على حسب السياق الموقف فقالوها (اتخذ الله ولدا)، فجاء التعبير متناسبا على الموقف عن الجمع بصيغة المفرد؛ تهوينًا وتحقيرا لشأن قائليها، وكأن كل كلامهم لا يعدل كلمة. الكلمات التي قالها المشركون عن الله، وادعاؤهم الباطل، يثير في النفس السامعة لها اشمئزازا؛ لخروج قبح من تلك الأفواه الكاذبة، والحدث لم ينته بل إن الفعل المستعمل فعلى المعنى التجريبي و شكل المادية دال على الاستمرار (تخرج).

« وكان قوله: (ما لهم به من علم) شاملاً لهم جميعاً من آباء وأبناء لكنهم لما كانوا يحيلون العلم به إلى آبائهم قائلين أن هذه ملة آبائنا وهم أعلم منا وليس لنا إلا أن نتبعهم ونقتدي بهم فرق تعالى بينهم وبين آبائهم فنفى العلم عنهم أولاً وعن آبائهم الذين كانوا يركنون إليهم ثانياً ليكون إبطالاً لقولهم ولحجتهم جميعاً. وقوله: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) ذم لهم وإعظام لقولهم: اتخذ الله ولداً لما فيه من عظيم الاجتراء على الله سبحانه بنسبة الشريك والتجسم والتركب والحاجة إلى المعين والخليفه إليه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وربما وقع في كلام أوائلهم إطلاق الابن على بعض خلقه بعناية التشريف للدلالة على قربه منه واختصاصه به نظير قول اليهود فيما حكاه القرآن: عزير ابن الله، وقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وكذا وقع في كلام عدة من قدمائهم إطلاق الابن على بعض الخلق الأول بعناية صدوره منه كما يصدر الابن عن الأب وإطلاق الزوج والصاحبة على وسائط الصدور والإيجاد كما أن زوج الرجل واسطة لصدور الولد منه فاطلق على بعض الملائكة من الخلق الأول الزوج وعلى بعض آخر منهم الابن أو البنت. وهذان الإطلاقان وإن لم يشتملا على مثل ما اشتمل عليه الإطلاق الأول لكونهما من التجوز بعناية التشريف ونحوه لكنهما ممنوعان شرعاً، وكفى ملاكاً لحرمتهما سوقهما وسوق أمثالهما عامة الناس إلى الشقاء الدائم والهلاك الخالد»(نفسها:33).

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٦)

الجملة	المعنى التجريبى العملية و نوعها	المعنى التبادلى (الفاعل +عنصر المحدود)	المعنى النصي(بنية المبتدأ/ و الخبر)
فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ	باخع: مادية	فاعل: الرسول / عنصر: جملة اسمية، وجه اخبارى(قطعيت)، وجهيت: معرفتى	مبتدا مركب(نصى+ تجربي)فلعلك+ باخع/غير موسوم/ المعلوم القديم)- خبر (على آثارهم/ المعلوم الجديد/غير موسوم
إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا	لم يومنوا: ذهني	فاعل: (وا)كفار مكة/ عنصر محدود: زمان مضارع، وجه اخبارى(قطعيت)، وجهيت: تكليفي	مبتدا مركب(تجربى) إن+ لم+ يومنوا/ المعلوم غير موسوم- المعلوم قديم /خبر (بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا / المعلوم

			جديد) غير موسوم

«قوله تعالى: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) البخوع والبخع القتل والإهلاك والآثار علائم أقدام المارة على الأرض، والأسف شدة الحزن والمراد بهذا الحديث القرآن. والآية واللتان بعدها في مقام تعزية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسليته وتطييب نفسه والفاء لتفريع الكلام على كفرهم وجحدهم بآيات الله المفهوم من الآيات السابقة والمعنى يرجى منك أن تهلك نفسك بعد إعراضهم عن القرآن وانصرافهم عنك من شدة الحزن، وقد دل على إعراضهم وتوليهم بقوله: على آثارهم وهو من الاستعارة» (طباطبايى،1375: 13/ 34).

هذه الآية من الإنكار الذي هو من باب الرحمة(بالرسول) (صلى الله عليه و آله وسلم) فالرسول لشدة حبه للبشر عامةً، كان يحزن الحزن الشديد على حال الكافرين، حتى أنه أوشك أن يهلك نفسه لجهلهم وعنادهم لما يدعوهم إليه؛ فأراد الله أن يخفف عليه بهذا الأسلوب المؤثر والذي يلفت انتباه سامعه. في الآية تصوير لحالة الرسول- عليه الصلاة والسلام -المؤمن بالله المحب لخلق الله، كل خلقه، حالة من الخوف عليهم والحزن لحالهم، الرسول يدعوهم وهو على يقين مما يلاقيهم إن لم يؤمنوا، وهم في شك مما يدعوهم إليه، تلك الحالة من المحبة التي جعلت الحزن في قلب الرسول (ع) يمكن أن يؤدي إلى أن يهلكه، ولكن الدقة العجيبة في الوصف واللغة ومراعاة الحال يتجّلى في السياق هذه الآية لها أنظمة وظيفية على شكل المعنى النصّي الموسوم. تركيب هذه الآية يختلف عن تركيب الآيات السابقة، و بنية هذه الآية تعدّ دعامة رئيسية للآيتين 7 و 8. كلمة "الآثار" أتت في هذه الآية المباركة بمعنى «الثروة»، و«القوة» في أيدي الكفار وليست بمعنى آثار الأقدام . واضافة حرف الجارّ "على" على الكلمة اللاحقة تدلّ على أن ندامة الرسول ليست بسبب رغبته و جشعه في ثروة الكفار و سلطتهم ، لأن هذا المعنى يتوافق مع حرف "اللام" وليس متسقا مع حرف "على " . و في الآية6 نقرأ ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ نلفى أنّ سبب ندامة حضرته منبثقة عن عدم إيمان الكفار بالقرآن ، لأنهم وظّفوا هذه الثروة والسلطة لأغراض دعائية ضد الإسلام وخلقوا جوًا من التوتّر.

« قوله تعالى: {إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً {إلى آخر الآيتين. الزينة الأمر الجميل الذي ينضم إلى الشيء فيفيده جمالاً يرغب إليه لأجله والصعيد ظهر الأرض والجرز على ما في المجمع – الأرض التي لا تنبت كأنها تأكل النبت أكلاً. ولقد أتى في الآيتين ببيان عجيب في حقيقة حياة الإنسان الأرضية وهو أن النفوس الإنسانية – وهي في أصل جوهرها علوية شريفة – ما كانت لتميل إلى الأرض والحياة عليها وقد قدر الله أن يكون كمالها وسعادتها الخالدة بالاعتقاد الحق والعمل الصالح فاحتالت العناية الإلهية إلى توقيفها موقف الاعتقاد والعمل وإيصالها إلى محك التصفية والتطهير وإسكانها الأرض إلى أجل معلوم بالقاء التعلق والارتباط بينها وبين ما على الأرض من أمتعه الحياة من مال وولد وجاه وتحبيبه إلى قلوبهم فكان ما على الأرض وهو جميل عندهم محبوب في أنفسهم زينة للأرض وحليه تتحلى بها لكونه عليها فتعلقت نفوسهم على الأرض بسببه واطمأنت إليها.فإذا انقضى الأجل الذي أجله الله تعالى لمكثهم في الأرض بتحقق ما أراده من البلاء والامتحان سلب الله ما بينهم وبين ما على الأرض من التعلق ومحى ما له من الجمال والزينة وصار كالصعيد الجرز الذي لا نبت فيه ولا نضارة عليه ونودي فيهم بالرحيل وهم فرادى كما خلقهم الله تعالى أول مرة.

وهذه سنة الله تعالى في خلق الإنسان واسكانه الأرض وتزيينه ما عليها له ليمتحنه بذلك ويتميز به أهل السعادة من غيرهم فيأتي سبحانه بالجيل بعد الجيل والفرد بعد الفرد فيزين له ما على وجه الأرض من أمتعة الحياة ثم يخليه واختياره ليختبرهم بذلك ثم إذا تم الاختبار قطع ما بينه وبين زخارف الدنيا المزينة ونقله من دار العمل إلى دار الجزاء قال تعالى } :ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم] { الأنعام: 93] إلى أن قال }ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون {]الأنعام: 94]. فمحصل معنى الآية لا تتحرج ولا تأسف عليهم إذا عرضوا عن دعوتك بالإنذار والتبشير واشتغلوا بالتمتع من أمتعة الحياة فما هم بسابقين ولا معجزين وإنما حقيقة حياتهم هذه نوع تسخير إلهي أسكناهم الأرض ثم جعلنا ما على الأرض زينة يفتتن الناظر إليها لتتعلق به نفوسهم فنبلوهم أيهم أحسن عملاً وإنا لجاعلون هذا الذي زين لهم بعينه كالصعيد الجرز الذي ليس فيه نبت ولا شيء مما يرغب فيه النفس فالله سبحانه لم يشأ منهم الإيمان جميعاً حتى يكون مغلوباً بكفرهم بالكتاب وتماديهم في الضلال وتبخع أنت نفسك على آثارهم أسفاً وإنما أراد بهم الابتلاء والامتحان وهو سبحانه الغالب فيما شاء وأراد.وقد ظهر بما تقدم أن قوله: {وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً} من الاستعارة بالكناية، والمراد به قطع رابطة التعلق بين الإنسان وبين أمتعة الحياة الدنيا مما على الأرض.وربما قيل: إن المراد به حقيقة معنى الصعيد الجرز، والمعنى أنا سنعيد ما على الأرض من زينة تراباً مستوياً بالأرض، ونجعله صعيداً أملس لا نبات فيه ولا شيء عليه.وقوله: {ما عليها} من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر وكان من طبع الكلام أن يُقال: وإنا لجاعلوه، ولعل النكتة مزيد العناية بوصف كونه على الأرض(طباطبايى،1375: 13/ 47). .(

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ نلاحظ تكامل الصورة في الآية السابقة بجميع العناصر المادية، فما كان مفصلا في الصورة السابقة، شمله التعميم في الاسم النكر ة(زينة) ويختتم بحقيقتين هما :أن زينة الحياة الدنيا ابتلاء واختبار، وثانيها أنها محكوم عليها ب الزوال والنهاية الصعبة المؤلمة. فقد سبقت كلمة (جزرا)بلفظ يدل على أمر صعب ألا وهو الذهاب بزينة الأرض وقطعها عن الإنبات .وهذا مدرك صعب على الكافرين. فالصورة في الآية تناولت زينة الحياة الدنيا التي ينبهر بها البشر،أما ستكون عليه يوم القيامة، فقد يصعب على الإنسان أن يتصوره في بعض الأحيان ، أو قد لا يرغب في ذلك التصور لتعلق نفسه بزخرف الدنيا وزينتها، فيكون ذلك مانعا من التصديق أو حتى التصور، فكان لابد من التصوير الذي هو أقرب ما يكون من الحقيقة ويشعر بها، فق وة التركيب بدأت بأدوات التوكيد المتتابعة، إنا المكونة من" إنّ" وهي للتوكيد والضمير"نا"الذي يفيد التعظيم.

4–نتيجة

تبين للباحث أن سياق الموقف، فكان هو الأساس المنهجى الذى شُيّدت عليه النظريات اللغوية عند هاليداي؛ إذ أصبح محورا لأغلب المصطلاحات و ألمفاهيم التى ظهرت فيه، وهذا ما جعله عماد البحث عن سيرورة المعنى ، فقدمت فهما جديدا للمعنى جعله محور الدرس اللغوى بعدما كان أمرا طارئا فى التحليل لا يعبأ به. كان سياق الموقف مصطلحا جديرا بالعناية من لدن اللغويين، فاتخذوه

أســاســا فى بناء نظرية النحو الوظيفى لهاليداي. في البحث الذي أدى إلى عرض منظور من وجهة نظر هاليداي و تطبيقها لتفسـير الميزان ، فهمت أن ســياق الموقف هو كل العوامل الخارجة عن اللغة المرتبطة بالنص والمعنى يمكن رؤية المظهر الملموس لهذا النهج في نظريته العملية . في هذا البحث تم توسيع سياق موقف الرسـول في مواجهة الكفار و عقائدهم في سـورة الكهف وتم الحصـول على النتائج التالية: تتضــمّن الآيات الثمانية الأولى تناســقا دلاليّا يدلّ على موقف رســول الله مع الكفّار و لا مع أهل الكتاب. تحتوي الآيات من 1 إلى 3 على ثلاث جمل متضــمّنةً معنى الإنذار والتبشــير، بينما أنّ المعانى المترابطة في الآيات من 6 إلى 8 متكوّنةً من جزأين: الأول ، الآية 6 ، وهو تعبير في حالة الشــرط والجزآء ، والثاني ، الآيتان 7 و 8 ، وهو تفســير للآية 6 التى تتمحور حول شـخصية رسـول الله و موقفه. حينما نلقي النظر إلى كلمة "آثار" في هذه الآية ودلالاتها حسـب سياق الحال وفقًا لنظرية هليداي، يســتطيع القارىء أن يحصــل على المعنى الحقيقى لهذه الآية بغية أنّ كلمة "آثار" تلعب دوراً حاسماً في التناســق الدلالي في الآيات الأولى، و هي حلقة وصلٍ بين الآيات السابقة، واللاحقة. لا يخفى علينا أنّ نظرية النظام الوظيفي لها دور هام فى تفسير الميزان. على سبيل المثل أنظروا إلى هذه الآية ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ لها أنظمة وظيفية على شكل المعنى النصّي الموسوم. تركيب هذه الآية يختلف عن تركيب الآيات السـابقة، و بنية هذه الآية تعدّ دعامة رئيسـية للآيتين 7 و 8. كلمة "الآثار" أتت في هذه الآية المباركة بمعنى «الثروة»، و«القوة» في أيدي الكفار وليست بمعنى آثار الأقدام . واضافة حرف الجارّ "على" على الكلمة اللاحقة تدلّ على أن ندامة الرسـول ليسـت بسـبب رغبته و جشـعه في ثروة الكفار و سـلطتهم ، لأن هذا المعنى يتوافق مع حرف "اللام" وليس متسـقا مع حرف "على " . و في الآية6 نقرأ ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ نلفى أنّ سـبب ندامة حضـرته منبثقة عن عدم إيمان الكفار بالقرآن ، لأنهم وظّفوا هذه الثروة والسلطة لأغراض دعائية ضد الإسلام وخلقوا جوًا من التوتّر.

المنابع

- قرآن کریم
- بن فارس،أبو الحسن أحمد القزويني (1979):**معجم مقاييس اللغة**، تحقيق :عبد السلام هارون، دار الفكر.
-ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (1966) :**تفسير ابن كثير**، ج4 ، لبنان :دار الأندلس.
- طباطبايی، سيد محمد حسين (1375): **الميزان فی تفسير القرآن** ، تهران: دارلكتب الاسلاميه.
- قطب :سيد،(2019): **في ظلال القرآن**، إسطنبول :دار الأصول العلمية.
- محمد بن عمر بن سالم،" (1997): **التناسق الموضوعي في السورة القرآنية**، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه.
- Halliday, Michael and Matthiessen, Christian. (2004) Introduction to Functional Grammar, 3rd Edition. Hodder Arnold pub.